

قضية التناوب على ضوء الاستعمال القرآني للمُحَكَّم لحروف الجرّ

نماذج من التعبير القرآنيّ

*ط/د. وائل عبد الله حسين محيي الدين

قسم اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

البريد الإلكتروني: Wael.tahaine@hotmai.com

ملخص البحث

استحوذت قضية (التناوب بين حروف المعاني) في اللغة وفي القرآن، على اهتمام كثير من الباحثين، قديماً وحديثاً، وتعددت آراؤهم حول تلك القضية، وقد أشارت هذه الدراسة إلى أبرز تلك الآراء، في ضوء الاستعمال المحكّم والدقيق لحروف الجرّ في القرآن الكريم، وما يترتب على ذلك من أحكام، ودلالات تربويّة ونفسية، وغيرها، مؤكّدةً من خلال ذلك على دقّة التعبير القرآني في استعمال كلماته، ونفي ما ذهب إليه عددٌ من النحاة واللغويين بوجود ظاهرة التناوب بين حروف المعاني في القرآن.

الكلمات المفتاحية: تناوب، حروف المعاني، التعبير القرآني، الاستعمال المحكّم، دلالة الاستعمال

Absract :

the issue of reciporical or rotation in tge letters of meanings in the language and in the Holy Quran has captured the interest of many old and new researchers, and their opinions have been varied in this issue.

This study has pointed to the most prominent of these views in the light of the accurate use of the prepositions letters in the Holy Quran, in addition to the consequents that follow such as the educational and psychological implications that emphasazing the accuracy if the Quranic expressions in using its words. He denied the fact that a number if grammarians and linguists

* المؤلف المرسل: ط/د. وائل عبد الله حسين محيي الدين Wael.tahaine@hotmai.com

spoke of the reciprocal or rotational phenomenon between the letters of meanings in the Holy Quran.

يختار التعبير القرآني ألفاظه، ويستخدمها بدقة بالغة، تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها. ولا تقتصر عناية القرآن في اختيار ألفاظه، بل نراه يُوجه المسلمين إلى مثل هذه الدقة، ويُبهِمهم إلى أخطاء وقعت، جرّاء استعمال ألفاظ في غير موضعها، مُرشداً في الوقت نفسه إلى البديل الصحيح الذي يجب استعماله، انظر إليه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾²، فالنهي عن قول: "راعنا" لدلالاتها السيئة في الاستعمال اليهودي، إذ كانوا يتسابون بها³، وتعني: الأرعن، وضعيف العقل، والأحمق⁴. كذلك النهي عن قول: "آمنا" لوجود فرق بين الإيمان والإسلام، ولأنّ للإيمان متطلبات تتجاوز النطق باللسان، إلى التصديق بالقلب والجوارح، وحالهم لم يكن كذلك، إنما كان ادعاءً باللسان، دون أن يقر في القلب.

وقد يطنّ ظانٌّ أنّ مثل هذه الدقة تقتصر على الأسماء والأفعال، دون أن يكون للحروف نصيب من هذه العناية، إذ يُمكن للمرء أن يستخدم حرفاً مكان حرف آخر، أو أن يحذف حرفاً، أو يزيد

¹ البقرة: 104

² الحجرات: 14

³ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، ط1، 1998، ج1/ 117

⁴ ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب (ر ع ن) دار صادر، بيروت - لبنان، ط3، 1994، وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، ج2/ 408، و البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، وآخرين،

دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ

آخر، دون الإحساس بتغيّر كبير في المعنى، ومثل هذا الظنّ، وإن وُجد له استعمال في لغتنا نحن البشر، فإنّ ذلك ممّا يتعدّد وجوده في الاستعمال القرآنيّ، حيث الحروف فيها تُصنّع من المعاني والدلالات، مثل ما تُصنّع الأسماء والأفعال، بل إنّ الحرف في سياق لغويّ، قد يحمل - أحياناً - من الدلالة ما لا تحمله جملة كاملة بكلّ أركانها، ولهذا فقد شبّه بعضهم الحروف في الجملة بالجهاز العصبيّ في الجسم " فهو - دونّه - لا يقف على ساق، ولا يقوى على معنى" ¹ انظر إلى الفرق في الدلالة بين قولنا: دعا لي، ودعا عليّ، وفي قولنا: رغب في الشيء، ورغب عن الشيء. ولأجل هذه الأهمية التي تمثّلها الحروف في التعبير القرآنيّ، فقد كان النصّ القرآنيّ ميداناً للبحث " لأنّه نصّ يُؤدي فيه الحرف دلالات مهمّة، فمن خلال معناه يُشرّع الحكم، وتُبنى عليه القاعدة" ²

وانطلاقاً من تلك الدقّة في الاستعمال القرآنيّ للمفردات بشكل عام، والحروف بشكل خاصّ، فإنّنا بحاجة إلى إعادة النظر في جانب من الإرث اللغويّ الذي ورثناه من علمائنا القدامى؛ حيث تناولوا عدداً من المسائل اللغويّة، وقال فريق منهم بتناوب حروف المعاني، ودلّوا على رأيهم بشواهد من القرآن والشعر، فقد (ذهب الكوفيّون على خلاف البصريّين إلى قبول تناوب حروف الجرّ في الوظيفة دون تأويل، أو تضمين، عن طريق الاحتجاج، ورصد الشواهد التي استدعت كثرتها إلى تشكيل ظاهرة لغويّة، لا يمكن إنكارها) ³، وجاء في الجزء الثاني من الخصائص "باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض": هذا باب يتلقّاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة، وما أبعد

¹ أبو عودة، عودة، شواهد في الإعجاز القرآني: دراسة بلاغيّة لغويّة، دار عمّار، عمّان - الأردن، ط1، 1998، ص 56

² العبادي، صادق فوزي، التناوب بين حروف المعاني في النصّ القرآني: الدلالات والمعاني، مجلّة الكليّة الإسلاميّة الجامعة، مجلد9، عدد30، ص647

³ ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، عمّان - الأردن، ط2، 2003، ج3، ص 6

الصواب عنه، وأوقفه من دونه¹، فيما ذهب البصريون إلى (أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجرم، وأحرف النصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ،... وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف)²

لقد وقف القدماء، في مواضع كثيرة في كتبهم، عند ما أسمى تبادل معاني الحروف، وناقشوا معاني التراكيب من خلالها، فقد ذكر أبو عبيدة في (مجاز القرآن) تبادل معاني الحروف بين (عن والباء)³، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾⁴، وبين (إلا والواو)⁵ كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾⁶

كما قال الأخفش بالتناوب بين (إلى والباء)⁷ واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾⁸، وبين (إلى ومع)⁹ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ

¹ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، د.ت، ج2، ص306.

² ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1991، ج1، ص131.

³ أبو عبيدة، معمر بن مثنى التيمي، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج2/

236

⁴ النجم: 3

⁵ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1/ 60

⁶ البقرة: 150

⁷ الأخفش الأوسط، أبو حسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1،

1990، ج1، 51.

⁸ البقرة: 14

⁹ الأخفش الأوسط، معاني القرآن، 51

مِنْهُمْ الْكُفَرُ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟¹، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟² وَبَيَّنَّ (من وعلى) كما في قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾³، وَبَيَّنَّ (الباء وعلى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾⁴، وَبَيَّنَّ (في وعلى)، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَنُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾⁵، وَبَيَّنَّ (ثم والواو)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾⁶، وَبَيَّنَّ (الباء وفي)، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا عَدُوًّا كَرِيمًا فَتَوَلَّى وَصَمَّى خَلَقُوا خَلْقًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁷.

كما ذكر الفراء في كتابه (معاني القرآن) مسألة تبادل معاني الحروف بَيَّنَّ (من وعلى)⁸، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ

¹ آل عمران: 52

² الصف: 14

³ الأنبياء: 77

⁴ آل عمران: 75

⁵ طه: 71

⁶ الأعراف: 11

⁷ التوبة: 102

⁸ الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ط2، ج2/306

يُصَلِّبُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ¹، وَبَيَّنَّ (على واللام)، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾²، وَبَيَّنَّ (في وعلى)³، كما قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾⁴، وكقوله: ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾⁵، وَبَيَّنَّ (أو وبل)⁶، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾⁷ وَبَيَّنَّ (في ومن)⁸، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾⁹، وَبَيَّنَّ (اللام وفي)¹⁰، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾¹¹.

ولم يقتصر القول بالتناوب على علمائنا القدماء، بل تَبِعَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، وقد خلصَ بعضهم إلى أَنَّ التناوبَ حقيقةٌ راسخةٌ، حيث يقول حجاج عبد الكريم: "إِنَّ ظَاهِرَةَ التناوبِ بين حروفِ العطفِ هي حقيقةٌ لغويَّةٌ ثابتةٌ، قد نصَّ عليها، ونقلها كثيرٌ من أئمةِ اللغةِ والنحوِ، وإذا كان الأمرُ كذلك، وأنها قد ثَبَّتَتْ، ورُوِّيت عن السلفِ، فلا يجوزُ ابتداءً استبعادها، والعدولُ عنها في

¹ المائدة: 33

² الصفات: 162

³ الفراء، معاني القرآن، ج 63/1، كذلك ج 2/ 186

⁴ البقرة: 102

⁵ طه: 71

⁶ الفراء، معاني القرآن، ج 393/2

⁷ الصفات: 147

⁸ الفراء، معاني القرآن، ج 391/ 2

⁹ النمل: 25

¹⁰ الفراء، معاني القرآن، ج 205/ 2

¹¹ الأنبياء: 47

التحليل النحوي"¹، فيما وقف آخرون موقفًا أبطل فيه قول الكوفيّين والبصريّين معًا؛ لعدم استحكام أدلّتهم في هذه المسألة، كما يقول الجباليّ، متفقًا في ذلك مع مَنْ يرى المسألة مُعجميّةً، ويضيف عليهم أنّها يُمكن أن تكون من قبيل المشترك اللفظي²

لكن هل الأمر بهذه الصورة التي أطلق عليها عددٌ من اللغويّين (تبادل معاني الحروف)، أم إنّ الاستقراء لمواطن استعمال الحروف في التعبير القرآنيّ، يرفض التسليم بما ذكره، ويُلزمنا إعادة النظر من جديد بهذه الفكرة؛ لنؤكد من خلال التعبير القرآنيّ المُحكّم، وما يترتّب عليه من دلالات عميقة، أنّ الساحة اللغويّة القرآنيّة لا تصلح بالكامل لكلّ المسلّمات اللغويّة التي اصطلح عليها عددٌ من القدماء، في دراساتهم للغة واستعمالاتها، بل إنّ تبني مثل هذا الرأي جملةً وتفصيلاً سيؤدي إلى اضطرابٍ دلاليّ، " ويحيل اللغة إلى فوضى عارمة"³

لم يكن هذا البحث استقراءً لكلّ الآيات التي استعملت حروف الجرّ والعطف، فتلك مهمّة تحتاج إلى دراساتٍ وطواقم من الباحثين، إنّما تمّ الاختصار على نماذج من التعبير القرآنيّ، بما يكفل تسليط الضوء على مشكلة البحث، ويساعد في توضيح الفروقات الدلاليّة التي تترتّب على الاستعمالات القرآنيّة لحروف المعاني.

وحقّ تكون المسألة أكثر وضوحًا، فإنّ الباحث سيذكر نماذج من التعبير القرآنيّ؛ علنا نتبيّن من خلالها تلك الدقّة التي لا يستوي معها القول بتبادل معاني الحروف، وأنّ ما قد يُستعمل في لغتنا نحن البشر، ليس بالضرورة أن ينسحب على التعبير القرآنيّ، حتى وإن كان بلسان عربيّ مبين. لننظر

¹ عبدالكريم، حجاج أنور، التناوب في المعنى بين حروف العطف : دراسة في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، 2014، عدد12، ص233.

² الجبالي، حمدي، مظاهر من التباين اللهجيّ في (معاني القرآن) للفرّاء، مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للأداب، مجلد4، عدد2، 2007، ص211.

³ البار، ابتهاج محمد عليّ، ظاهرة تناوب حروف الجرّ في الدرس النحوي، مجلة فكر وإبداع، مارس 2017، ص159.

إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾¹، فلو سلّمنا بفكرة التبادل بين حروف المعاني، وجعلنا (في) مكان (عن)، فإنّ الويلَ سيَطالُ الناسَ جميعاً، ومن الذي لا يسهو في صلاته؟ أليس كلُّ مصلٍّ يسهو في صلاته، حتّى كبار الصحابة - رضوان الله عليهم، فلقد رُوي عن سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قوله: "إني لأجهّز جيشي، وأنا في الصلاة"²

وبالعودة إلى استعمال التعبير القرآني لحرف الجرّ (عن)، فإنّه، بذلك، يقصّر الويل على الذين يتركون الصلاة تماوئاً بها، ويعني، أيضاً، جموع المنافقين الذين إنّ صلّوا لا يرجون للصلاة ثواباً، وإن تركوها لا يخشون عليها عقاباً، فشتان - إذن - بين حرفٍ تطال دلالته استعماله كلّ المسلمين، وآخر يقلّص الدائرة، ويقصرها على جماعةٍ معيّنين، فينجو بذلك الجمع الأكبر من المسلمين.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾³، فقد ذكر أبو عبيدة والأخفش أنّ (في) بمعنى (على)، وكذلك فسرها الشوكاني⁴، والقرطبي⁵، واستشهد بقول سويد بن أبي كاهل:

¹ الماعون: 5

² البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ. ج2/67.

³ طه: 71

⁴ الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: سيّد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 2003.

⁵ القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م

هم صلبوا العبدِيّ في جذع نخلةٍ فلا عطّست شيئاُ إلا بأجدعا¹
 وقد ردّ الرازيّ في تفسيره هذا القول، وضعّفه، ورأى أنّ القول بأنّ (في) بمعنى (على) ضعيفٌ،
 ويُفسّرها بأنّها تشبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه²، ومثله قال الزمخشريّ
 في كشّافه³، وذكر أبو السعود في تفسيره أنّ إشار كلمة (في) للدلالة على إبقائهم عليها زماناً
 مديداً، تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف المشتمل عليه⁴، والذي يبدو للباحث أنّ إشار
 كلمة (في) جاء ليقدّم كشفاً نفسياً يشي بحجم الحقد والغيط اللذين كانا يعتملان في نفس
 فرعون...إنّ لا يريدُ تصلّيهم على جذوع النخل وحسب، بل يريدُ - لشدة غيظه وحقده - إدخال
 أجسامهم داخل الجذع، فهو صلبٌ مصحوبٌ بدفعٍ وضغطٍ على الأجسام والجذوع؛ كي تتداخل
 في بعضها، في صورة تكشف عن كراهيةٍ شديدة، ونفسٍ تميّز من الغيط، وما كان للحرف (على)
 أن ينهض بذلك المعنى، لذلك وجدنا التعبير القرآنيّ قد أثر استعمال (في)؛ ليكشف من خلالها
 هذا عن تلك الدلالة العميقة. " فالحرف (على) لا يُمكنه أن يحقق عند استعماله لفظاً في موضع
 (في) الغاية الدلالية التي تتناسب وفحوى الخطاب على لسان فرعون؛ لأنّ الحرف (على) يوحي

¹ المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997، ج3، 73، والخصائص، ج1، 96، وكذلك أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، الصحاحي في فقه اللغة العربيّة ومسايلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 1971، ص 114

² ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط2، 1420هـ، ج22/76

³ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط3، 1407هـ، ج3/76

⁴ أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ج5/439

يَعْلُو أَتْبَاعِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَام، مِنَ السَّحَرَةِ عَلَى جَذْوَعِ النَّخْلِ، وَهَذَا لَا يَعْمَلُ عَلَى إِطْفَاءِ نَارِ الْحَقْدِ فِي نَفْسِ فِرْعَوْنَ تَجَاهَ أَعْدَائِهِ وَهُمْ مَوْتَى¹

كما يحققُ التعبيرُ القرآنيُّ جانبًا تربويًّا من خلالِ حُسْنِ اختيارِهِ لألفاظِهِ، وإيثارِهِ لحرفٍ دونَ آخرٍ، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾²، فليسَ المرادُ بكونِهِم أَذِلَّةً أَنَّهُمْ مُهَانُونَ، بل إنَّ المرادَ المبالغةَ في وصفِهِم بالرفقِ، ولينِ الجانبِ، واستعمالُ التعبيرِ القرآنيِّ لـ (على) دونَ (اللام) يحملُ دلالةً مهمَّةً، (فـ) (على) كما جاء عند سيويهِ، وغيره، فهي للاستعلاء³، وكأنَّ القرآنَ، وهو يطالبُ المؤمنَ بأن يعطفَ ويدلَّ لأخيه المؤمنَ، يُجَرِّهُ أَنَّهُ يَتَذَلَّلُ يَزْدَادُ رَفْعَةً وَعُلُوًّا، وَأَنَّ هَذَا التَّذَلُّلَ لَنْ يُنْقِصَ مِنْ قَدْرِ شَيْئًا... إِنَّهُ الشَّامِخُ رَغْمَ تَذَلُّلِهِ، مُنْتَصِبُ الْقَامَةِ رَغْمَ انْحِنَاءَتِهِ اللَّيِّنَةِ لِأَخِيهِ... إِنَّهُ عُلُوُّ الْمَنْصَبِ، وَالْفَضْلِ، وَالشَّرَفِ، وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الِاسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِيُّ لِحَرْفِ الْجَرِّ (على) دونَ سواه، أمَّا استعمالُهُ لذاتِ الحرفِ في قوله: "أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ" فهو منسجمٌ تمامًا مع استعلاءِ المؤمنِ على الكافر، وشِدَّتِهِ عَلَيْهِ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾⁴. جاء في تفسيرِ الرازي: "أَنَّ تَعَالَى ذَكَرَ كَلِمَةً (على) حَتَّى يَدُلَّ عَلَى عُلُوِّ مَنْصِبِهِمْ، وَفَضْلِهِمْ، وَشَرَفِهِمْ، فَيُفِيدُ كَوْنَهُمْ أَذِلَّةً لَيْسَ لِأَجْلِ كَوْنِهِمْ

¹ ذهبيَّة، بوربوس، ظاهرتا التضمين والتناوب في حروف الجرِّ بين البصريَّين والكوفيَّين، مجلَّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع12، ص226

² المائدة: 54

³ ينظر، سيويهِ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1992، ج4/

230

⁴ الفتح: 29

ذليلين في أنفسهم، بل ذاك التذلل إنما كان لأجل أنهم أرادوا أن يَضُمُّوا إلى غُلُو منصبتهم فضيلة التواضع"¹.

وتساهم هذه الدقة المتناهية في تقديم كشفٍ نفسيٍّ بالغ الدلالة، فهذا هي سورة المطففين، ومن خلال استعمالها المحكم لحروف الجر، تبيّن لنا ما لا تقوى كل الكلمات على تبيانها، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾²، إنهم أناسٌ مسكونون بالغرور والتعالي على الآخرين، وقد تكفل حرف الجر (على) بالكشف عن هذا الشعور بالاستعلاء، بل وبالنظر بدويّة نحوهم، فهم أقلّ من أن يُنصفوا، وأدنى من أن يحصلوا على حقوقهم، ولذلك استعمل التعبير القرآني مع كَيْل هؤلاء المتعاليين على غيرهم الفعل (كال) للآخرين، دون التعدية بحرف الجر (اللام)، فلم يُقُل: كالوا لهم، وإنما قال: (كالوهم) أو وَزَنُوهم) في إشارة واضحة إلى أن هؤلاء المطففين علاوة على غرورهم، واستكبارهم، وتسلبهم، فإنهم لا يروّون الآخرين مستحقّين للكيل العادل الذي يحصلون من خلاله على حقّهم، لذلك جاء كيّلهم لهم دون (اللام) التي تفيّد الاستحقاق. ولا شكّ أنّ مثل هذا المعنى لا يتحقّق إلا من خلال هذا الاستعمال الدقيق والمحكم للحروف.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾³، فقد استعمل مع الهداية حرف الاستعلاء (على)، ومع الضلال (في)؛ وذلك لأنّ الهداية استعلاء ورفعة، بخلاف الضلال فهو دويّة وانحطاط قدراً ومكانة، لهذا استعمل (على) مع ما كان رفعةً وعلوًّا، فيما خصّص للهبوط والدويّة ما يدلّ عليها. جاء في الكشف: "فإن قلّت كيف خولف بين حربي الجرّ الداخلين

¹ الرازي، التفسير الكبير، ج 12 / 381

² المطففين: 1 - 3

³ سبأ: 24

على الحق والضلال؟ قلت: لأنَّ صاحبَ الحقِّ مُسْتَعْلٍ على فَرَسٍ جوادٍ يركضُهُ حيث يشاء، والضالُّ كأنَّه منغمسٌ في ظلامٍ، مرتبك فيه، لا يدري أين يتوجَّه" ¹.

إنَّ في استعمالِ (على) مع الحقِّ والهدى، واستعمالِ (في) مع الرِّبِّ والضلالِ والظلماتِ سرًّا لطيفًا، يكشفُ عن علوِّ في مكانة المهتدي، وثباته، واستقامته، وانغماسٍ للضالِّ، وانحداره لأسفل سافلين. انظر إلى الآياتِ كيف تتجلى الدقَّة في استعمالِ الحروفِ، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ ²، وقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ³، ولننظر إليه ، في المقابل، كيف استعملَ الحرفَ (في)، حيث يقول سبحانه: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ⁴ ، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ⁵، وقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ ⁶، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَيُكَمِّ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ⁷، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ⁸، وقوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ⁹ ،

¹ الزمخشري، الكشاف، مكتبة العبيكان، ط1، 1998 ج5/ 122

² النمل: 79

³ البقرة: 5

⁴ المؤمنون: 54

⁵ التوبة: 45

⁶ مريم: 75

⁷ الأنعام: 39

⁸ هود: 110

⁹ الأنبياء: 97

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾¹، فأى دقة هذه، وأى روعة في الأداء وحسن الاختيار؟

ومن مظاهر الاستعمال المحكم والدقيق لحروف الجر في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾²، حيث استعمل في الآية حرفي جر، هما (اللام وفي)، فمع مصارف الزكاة الأربعة الأولى، استعمل التعبير القرآني حرف الجر (اللام)، والذي يفيد في هذا السياق - الملكية، في حين استعمل حرف الجر (في) مع المصارف الأخرى، فهل كان هذا الاستعمال اعتباطيًا، أم دقيقًا ومحكمًا؟

إن من جملة الأهداف التي يسعى التعبير القرآني إلى تحقيقها، من خلال ما يستعمله من ألفاظ وتراكيب، هو المعالجة التربويّة لنفوس الأغنياء؛ لينفقوا أموالهم عن رغبة وطيب خاطر، بل وعن قناعة بأنّ قسمًا من المال الذي بين أيديهم ما هو إلا أمانات هم مُستأمنون عليها، ومُطالبون بتأديتها لأصحابها ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾³، لهذا كان استعمال التعبير القرآني لحرف الجر (اللام) دقيقًا ومقصودًا، بهدف السموّ بنفوس الأغنياء، وتطهيرها، ومحاربة وساوس الشيطان لها، ونوازع الأنانية فيها، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁴، وكذلك رفعًا للخروج عن الفقراء، وغيرهم من مصارف الزكاة الثلاثة، وحفاظًا على مشاعرهم من الانكسار. فالأموال أموالهم،

¹ المجادلة: 20

² التوبة: 61

³ الذاريات: 19

⁴ التوبة: 103

لكنَّ الله استخلفَ عليها عباده الأغنياء، واستأمنهم عليها؛ ليقوموا بإيصالها لأصحابها، كما بيّن الله في كتابه.

أما الفئات الأربعة الأخرى ممّن تُصرف لهم الزكاة، فقد عدّل القرآن الكريم عن استعمال (اللام) إلى حرف الجرّ (في)، وهو دليلٌ آخرٌ على الدقّة المتناهية في الاستعمال القرآنيّ المحكّم لحروف الجرّ، فإذا كانت الصدقات مع الأصناف الأربعة الأولى هي ملكٌ لهم، فإنّ الأصناف الأربعة الآخرين لا تُدفع لهم الصدقات ليتملّكوها، إنّما ليأخذها غيرهم، فالعبد والغارم لا يأخذان شيئاً من الصدقات، إنّما تُدفع للسيد؛ ليعتق العبد، ولمن له حقٌّ على الغارم؛ ليتحلّل من غُرمه.

أمّا (سبيل الله وابن السبيل) فقد استعمل معهما حرف الجرّ (في)؛ لتوسعة دائرة الصرف، بحيث تشمل أيّ مكانٍ ينبغي به وجه الله تعالى.

جاء في مُعْتَرِكِ الأقران: "عدّل عن (اللام)، إلى (في) في الأربعة الأخيرة؛ إيداناً بأنهم أكثر استحقاقاً للتصدّق عليهم ممّن سبق ذكره باللام؛ لأنّ (في) للوعاء؛ فنّبّه باستعمالها، على أنّهم أحقّ بأن يُجعلوا مظنةً لوضع الصدقات بهم، كما يوضع الشيء في وعائه مُستقراً فيه.

وقال الفارسيّ: إنّما قال في الرقاب، ولم يقل للرقاب؛ ليدلّ على أنّ العبد لا يملك"¹

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾² فما كان فيه المنفعة والتملّك ناسبه حرف الجرّ (اللام)، وما كان فيه إشعارٌ بالثقل المؤذّن بالضرر، فقد جاء بما يناسبه، وهو حرف الجرّ (على). ومن الإشعار المؤذّن بالثقل أيضاً، قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ

¹ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمّد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ج1، ص 320

² البقرة: 286

الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ¹.

وَمِن مَّظَاهِرِ الدِّقَّةِ فِي الاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ لِحُرُوفِ الْجَرِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾²

إنّ (لِ) الباء في هذه الآية دلالة لا يمكنُ لغيرها من حروف الجرّ أن تنهضَ بها، أو تأديتها على الوجه الذي تؤدّيه (الباء) في هذا الموطن، فلقد أفادت معنى الإلصاق، "وهو أصلُ معانيها"³ وما أشدَّ حاجةَ الوالدين - في كِبَرِهما - إلى التصاقِ الأبناءِ بهما، فلا يؤتي الإحسانُ عن بُعْدٍ أَكَلَه، ولا آثاره النفسيةَ على الوالدين، كما هو القُربُ الدائمُ منهما، لذلك ليسَ في وُسْعِ أيِّ حرفٍ النهوضُ بهذا المعنى، أو تحقيقُ البرِّ المطلوبِ، لا سيّما مع كِبَرِ الوالدين، واشتدادِ حاجتهما لرؤية الأبناءِ قُرْبُهُما دائماً.

وللتأكيدِ على أهميةِ (الباء) في هذا السياق، وعجزِ أيِّ حرفٍ آخرَ عن النهوضِ بتلك الدلالة التي توقّرها (الباء)، وجدنا التعبيرَ القرآنيَّ يؤثرُ استعمال (عندك) في الآية ذاتها، فيقول: "إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا..."؛ لِيُرسَخَ فكرةُ البرِّ بالوالدينِ على أكملِ وجوهها، في رسالةٍ ربّانيةٍ واضحةٍ وجليّةٍ للأبناء، مفادها: حين يكبرُ الآباءُ عليكم أن تتنبّهوا لهذه المرحلة من أعمارهم، بحيث يَمُرُّوا بها وهم في كنفكم، وتحت رعايتكم، ما لم يكنْ هناك ظرفٌ قاهر، لهذا جاءت كلمة (عندك) حاسمةً لا تدع مجالاً لابنٍ ألا يكون جوار أبويه، وألا يكونا تحت عينيه حال بلوغهما مرحلة الكبر،

¹ البقرة: 59

² الإسراء: 23

³ المرادي، ابو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عليّ، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد ندیم

فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1992، ج 1/ 36

هذه واحدة، أمّا الثانية فإنّ الخطاب القرآني موجّه لكلّ ابنٍ بعينه، فلم يقلّ إما يبلغنّ عندكم الكبر، إنّما قال: عندك؛ ليستشعر كلّ واحدٍ من الأبناء أنّه المقصود من هذا الخطاب، فلا يصحّ أن يكون الوالدان في كبرهما محلّ اهتمام أحدِ الأبناء ورعايته وعنايته دون الآخرين، إنّما على جميع الأبناء أن يتسابقوا، ويتنافسوا على الفوز برعاية الأبوين؛ الأمر الذي ينعكس إيجاباً على نفسيّة الآباء ومشاعرهم، فهل ثمّ تعبيرٌ في الحَضّ على رعاية الوالدين، والعناية بهما، أعمق دلالةً من هذا التعبير القرآني؟

إنّ الشواهد القرآنيّة التي تؤكّد فكرة الدقّة المتناهية في الاستعمال القرآنيّ المحكم لحروف الجرّ، أكبر من أن يُحيطَ بها بحثٌ واحدٌ، لكنّها محاولةٌ للوقوف على جوانب من تلك الدقّة، ودلالاتها العميقة والمحكمّة، سائلاً المولى عزّ وجلّ أن يفتح علينا في دراسةٍ أوسع وأشمل، تكون ذخراً لنا يوم القيامة.

النتائج:

بعد هذه الرحلة الشيقّة مع الاستعمال القرآنيّ المحكم لحروف الجرّ، فإنّ الباحث قد خلصَ إلى جملةٍ من النتائج، لعلّ أبرزها الآتي:

- 1- لقد كانت قضيّة التناوب بين حروف المعاني - ولم تزل - محلّ خلافٍ وجدالٍ منذ القدماء، إلى يومنا هذا، ممّا كان له الأثر الواضح في إثراء الدرس اللغويّ.
- 2- ربّما يحملُ حرفُ جرٍّ معنىً قريباً، إذا استعملَ مكانَ حرفٍ آخر، لكنّ هذا الأمر إذا صحّ في جُمْلٍ وعباراتٍ، فإنّه لا يصلحُ لهذا الحلّول دائماً، وبما أنّ الأمر مقتصرٌ على سياقاتٍ دون أخرى، فمن الخطأ تعميمُ القول بالتناوب.

3- يرى الباحث أنّ الثراء الدلالي للتركيب اللغويّ في القرآن يتّسع ليشمل الظاهر والتضمين، وإنّ قياس ما جاء في القرآن الكريم على كلام العرب، يدفع للحزم أنّ الأصل في كلام العرب هو ما جاء في أشعارهم وخطبهم، وغيرهما فقط، لكنّ الباحث يرى أنّ إدراج التعبير القرآنيّ، واللغة القرآنيّة ضمن أصول كلام العرب، يساعدنا على تحبّب كثير من الخلافات والآراء، وبما أنّ العرب لم تتكلّم على أسلوب واحد، ولا تستعمل كلّ ألفاظها لدلالة موحّدة بين المتكلّمين، فإنّ لغة القرآن هي واحدة من اللغات، وأساليبه التي تميّز بها، هي واحدة من هذه الأساليب، وبالتالي فإنّ ردّ دلالة الاستعمال القرآنيّ للغة إلى استعمالات العرب لتلك اللغة يحتاج إلى إعادة نظر؛ لأنّ عربيّة القرآن تجعل منه أصلاً- كما جعل نحوه- وليس نصّاً يجب أن يُحال إلى عادات لغويّة عند هذه القبيلة، أو تلك، وإنّ حصر الدلالات القرآنيّة بما سبقها وشاع عند العرب من أساليب ودلالات، ما هو إلّا تضيق للفضاء الدلاليّ للتعبير القرآنيّ، وتقييد للمعاني، وبالتالي حصرها في أفهام من سبق من اللغويين والمفسرين القدماء، وحرمان النصّ القرآنيّ من إبداعاته الدلاليّة الصالحة لكلّ زمان ومكان.

4- قد تقترب معاني الحروف من بعضها، لكن يبقى لكلّ حرفٍ معناه الذي يستحيل على حرفٍ آخر أن يمثّله في معناه تماماً، وإنّ تقارب المعنى بين الحروف في موطن، فإنّه يتعدّد تقاربها في كلّ المواطن، ولهذا فإنّ الافتراض أنّ حرف المعنى يؤدي المعاني المحصورة في أذهان اللغويين، هو الذي يضطرّ طائفة منهم إلى تأويله أو تضمينه معيّ لحرفٍ غيره؛ لينسجم مع فهمهم للسياق الذي ورد فيه، ومن أجل الخروج من هذا الإشكال، لا بدّ من منح الحرف معاني جديدة، وذلك انسجاماً مع المعاني التي تستوجبها السياقات المختلفة،

والتي تضطرُّ بعض العلماء إلى القول بالنيابة، ولهذا فإنَّ الباحث يرى أنَّ التوسُّع في دلالات تلك الحروف اعتمادًا على سياقاتها القرآنيَّة المختلفة، أسلم من القول بالنيابة.

5- إنَّ الأصل في الاستعمال اللغويِّ للحروف، يستوجبُ مراعاة ما وُضعت له تلك الحروف، وإنَّ القول بتناوب المعاني سيؤدي إلى إسقاط فائدة الوضع، أو إحداث قَدْر من اللَّبس في المعنى.

6- صحيح أنَّ مذهب الكوفيِّين القائم على التوسُّع في الاستعمال اللغويِّ، قد وقَّر لهم مادَّة لغويَّة تراثيَّة تُسوِّغ لهم القول بالتناوب، إلَّا أنَّ علينا التنبُّه دائمًا إلى أنَّ ثَمَّ استعمالًا مُحْكَمًا ودقيقًا للحروف في القرآن الكريم، يستوجبُ البحث عن الأبعاد الدلاليَّة لتلك الدقَّة، وعدم حصر معانيها وآثارها فيما اعتاده المتَّسمون بالنقص من استعمالات لغويَّة سابقة.

7- صحيح أنَّ القرآن قد جرى في أساليبه على عادات العرب اللغويَّة، لكن علينا أن لا ننسى العجز البشريَّ في استعمال المادَّة اللغويَّة، في مقابل الكمال الإلهيِّ، لذا فإنَّ ما يجري على البشر الذين يعترضهم النقص، لا يجري على الله، كَوْن القرآن كلامه سبحانه.

8- لقد تردَّد بعض اللغويِّين في تسمية بعض الحروف في التركيب القرآنيِّ بأحرف الزيادة، كما يُسمَّونها في لغة البشر؛ وذلك من باب التأدب مع كلام الله، فلماذا لم يقولوا مثل هذا عن مظاهر التعبير القرآنيِّ، وعدم محاكمتها وفُق ما اعتاده العرب من استعمالٍ للأساليب؟

9- إنَّ الاحتكام إلى كَوْن العرب قد استعملت حرفًا مكان آخر، فإنَّنا بذلك سنهبط من الدقَّة اللغويَّة، والكمال الذي امتاز به التعبير القرآنيُّ، إلى الاستعمال البشريِّ، المتَّسم بالنقص والعيوب، وربما تُجرَّد التعبير القرآنيُّ من بعض دلالاته التي تقتضيها تراكيبه المحكَّمة.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم

- 1- الأخفش الأوسط، أبو حسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1990.
- 2- البار، ابتهاج محمد عليّ، ظاهرة تناوب حروف الجرّ في الدرس النحوي، مجلة فكر وإبداع، مارس 2017
- 3- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ
- 4- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1420هـ
- 5- الجبالي، حمدي، مظاهر من التباين اللهجيّ في (معاني القرآن) للقرّاء، مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب، مجلّد4، عدد2، 2007.
- 6- ابن جيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجّار، دار الكتب المصريّة.
- 7- أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريّا، الصحاحي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، هلّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، 1971.

- 8- ذهبية، بورويس، ظاهرتا التضمنين والتناوب في حروف الجرّ بين البصريين والكوفيين، مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2002.
- 9- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1420هـ.
- 10- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1407هـ.
- 11- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، عمّان- الأردن، ط2، 2003.
- 12- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- 13- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2003.
- 14- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1992.
- 15- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 2003.
- 16- العبادي، صادق فوزي، التناوب بين حروف المعاني في النصّ القرآني: الدلالات والمعاني، مجلّة الكلية الإسلامية الجامعة.

- 17- عبدالكريم، حجاج أنور، التناوب في المعنى بين حروف العطف : دراسة في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، 2014
- 18- أبو عبيدة، معمر بن مثنى التيمي، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه: محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة
- 19- أبو عودة، عودة، شواهد في الإعجاز القرآني: دراسة بلاغية لغوية، دار عمّار، عمّان-الأردن، ط1، 1998
- 20- ابن فارس، احمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر،
- 21- الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمّد علي النجّار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط2
- 22- القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط2، 1964م
- 23- المبرد، محمّد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997.
- 24- المرادي، ابو محمّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عليّ ، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قبّابة، ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 1992

- 25- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب (ر ع ن) دار صادر، بيروت- لبنان، ط3، 1994
- 26- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، ط1، 1998
- 27- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1991